النشاط الاقتصادي لجماعات الغجر
في مصر في القرن التاسع عشر

د . هبه عبدالخالق عبدالله

دكتوراه في التاريخ الحديث - كلية الآداب

جامعة القاهرة

النشاط الاقتصادي لجماعات الغجر في مصر
في القرن التاسع عشر

د . هبه عبد الخالق عبد الله(*)

الملخص

ينقسم الغجر في مصر إلى ثلاث جماعات رئيسة هم (الغجر ، والحلب ، والنّوَر) ، وهم يشتركون جميعًا في قاعدة من الخصائص العامة ، حيث نمط الحياة المعتمد على الترحال والتجوال ، وامتلاكهم لغة خاصة بهم ، وسمات فيزيقية ، والتداخل في الأنشطة الاقتصادية التي يمارسونها ، كما أُلحقت بهم جماعات أخرى شبه غجرية ممن مارسوا نسق حياة مشابه لهم ، فتم إدراجهم ضمن الغجر ، ولعل من أهمهم الغوازي .

وقد اشتهر الغجر ببعض المهن ؛ فقد عملوا في صناعة المناخل من شعر الخيل والجلود ، كما عملوا بالحدادة ، وتصليح الأقفال ، وكذلك تركيب الحداء للحمير ، وبعض المهن التجارية كبيع وشراء الحمير والجمال والخيول ، وتجارة الخردة كبيع الأدوات النحاسية والحديدية ، وأيضًا عملوا في الخرازة ، وكقماشين ، وبائعي أحجبة ، والحلي البسيطة مثل الأقراط والأساور .

كذلك مارس الغجر المهن المرتبطة بتقديم العروض المختلفة كالقرداتية ، والبهلوانية ، والحواة ، كما مارست نساؤهم فنون قراءة الطالع ، ودق الوشم ، وقد توافقت تلك المهن مع أسلوب حياتهم المُعتمد على التنقل الدائم ، وتماشت مع رغبتهم في العزلة ، وحققت لهم مقداراً بسيطًا من التعامل مع المجتمع ، حيث تقدم تلك العروض في الشوارع العامة ، والمقاهي ، وأثناء الاحتفالات والمناسبات المختلفة ،

(*) دكتوراه في التاريخ الحديث – كلية الآداب– جامعة القاهرة

ولاسيما الموالد التي كانوا سرعان ما ينتقلون إليها ناصبين خيامهم على أطراف المدن والقرى لحين انتهاء المولد والانتقال إلى غيره .

وقد احتفظ الغجر بفنونهم التراثية ، والتي ميزتهم عن غيرهم ، بما لها من خصائص جعلتها محط الدراسة ، وموضع الاهتمام كفنون الرقص الشعبي ، والموسيقى ، وعن طريقهم تم الاحتفاظ بالكثير من السير الشعبية حتى تلك التي لم يثبت أن أصولها غجرية ، فقد حملوا التيمات الملحمية والقصصية ، وقاموا بسردها وروايتها أو تشخيصها في بعض الأحيان في الكثير من القرى والمدن وأماكن السمر والموالد ؛ مما ساهم في الإبقاء على الكثير من التراث القصصي الشعبي .

وتلقي الدراسة الضوء على طبيعة تلك المهن التي مارسها غجر مصر ، رجالاً ونساءً ، وأسلوب وطريقة عمل كلٍّ منها ، كذلك تحاول رصد موقف الدولة منها ، والأوامر الصادرة بشأنها سواءً بالمنع أو السماح ، والعوائد المقررة على تلك الأنشطة ، كما يتعرض البحث لمدى تحقيق تلك الأنشطة لحد الكفاية لأصحابها ، وهل أغنتهم عن ممارسة التسول أم كانت في حد ذاتها تسولاً مستترًا ، ومدى نجاح القليل منهم في تكوين ثروات .

ولقد اعتمد البحث على مجموعة متنوعة من المصادر ما بين وثائق غير منشورة ، ومصادر عربية ومعربة ، بالإضافة إلى المراجع المختلفة .

Abstract

Gypsies are divided into three main tribes in Egypt. They are (Gypsies, Halabi, and Nawar). They all share a base of general characteristics, as their lifestyle depends on navigation and wandering around, physical features, and their interference in different economic activities. Moreover, other Gypsies-like tribes had similar lifestyles, so they were added to the gypsies. The most important tribe of them is the Ghawazi.

Gypsies were well-known for some jobs. They manufactured sieves from horses, hair and animal skin. They were also blacksmiths they also mended locks. They used to install horseshoes on donkeys. They participated in some trades as buying and selling donkeys, camels, and horses. They practiced the scrap business like selling tools made out of copper and iron. They also made simple jewelry like earrings and bracelets. They sold cloth and charms

(Ahjeba).

Gypsies also performed different shows like playing with monkeys (keradatya), acrobats (bahlawanya), or athletics (hawah). Their women did fortune-telling and tattooing. These jobs were suitable for their lifestyle which depended on constant navigation and went along with their desire for solitude and achieved minor socialization for them, as these shows took place in the streets, in cafes, and during different celebrations and occasions, especially during ceremonies (El mwaleed). They would hurry to install their tents on the edges of cities and villages until the ceremony is over and they move to another one.

Gypsies kept their heritage art which distinguished them from others. It had properties that made it a study subject and a huge interest, like the art of local dancing, music, and their ways of maintaining their local biographies, even those that were not fully proven to be related to their origins. They carried epics and stories and narrated them to others, sometimes in a personal manner, in many cities, villages, cafes, and ceremonies which helped preserve their local heritage.

The study sheds light on the nature of these jobs done by Egypt,s gypsies, both men, and women. It also highlights the way of practicing each one of them. It tries to spot the government,s reaction to those ac-

tivities and the orders given to either stop or allow them along with the consequences of these orders. The study also tries to figure out if these activities were enough for the Gypsies so that they stopped beggaries or if these activities were hidden beggaries themselves. The study also tries to measure the success of a few of them in making fortunes out of these activities. The study depends on a collective group of resources between unpublished documents, Arabic and Arabic-translated resources, in addition to different references.

يمكن النظر إلى المهن التي امتهنها الغجر باعتبارها أحد أشكال التفاعل الحضاري ، أي أنها ضمن العناصر التي قام الغجر بنقلها معهم في ترحالهم من موطنهم الأصلي إلى أماكن استقرارهم الجديدة ، حيث كانوا بمثابة حلقة اتصال في نقل بعض المهن من مواطنهم لتنال إعجاب سكان البلاد الأخرى ، حتى وإن كان بعضها معروفًا في أماكن استقراراهم الجديدة ، إلا أنهم أعطوها شكلاً جديداً ، وتفوقوا فيها بشكل جعلها مرتبطة بأسماء من مارسها من جماعاتهم كلما ذُكرت ، ولم تتمكن سوى قلة من خارج الجماعات الغجرية من التسلل والمشاركة في هذه المهن . ويعود امتهان الغجر لبعض المهن تحديداً في موطنهم الأصلي ، إلى أن نظام الطبقات في الهند القديمة فرض على الفئات الدنيا احتراف المهن التي تنفر منها الطبقات العليا بالمجتمع[١] .

وقد اشتهر الغجر- بشكل عام- بالعمل في مهن محددة اعتادها وعرفها تراثهم ؛ فقد عملوا في الصناعات البسيطة كصناعة المناخل ، وعمل المسامير الحديدية ، وبيع الحلي رخيصة الثمن كالأقراط والأساور ، وبيع الأحجبة ، وكذلك التجارة في الحمير والخيول والجمال ، وذاعت شهرتهم في بيعها بين تجار القاهرة ، وأيضًا عملوا كباعة جائلين بالمنازل (مهنة الدلالة) ، وعملت نساؤهم في قراءة الطالع ، والرقص الشعبي أو كما يطلق عليه رقص الغوازي ، واحترف بعض نسائهم البغاء ، كما اشتغلوا كصيادي الثعابين وحواة ، وقرداتية ، ومدربي حيوانات[٢] .

ويستدل من الأعمال المتنوعة التي مارسوها وأدت إلى اكتساب رزقهم ، القوة مدى القدرة على التكيف والتأقلم مع الظروف الخارجية ، وارتبط هذا التنوع بطبيعة حياة الغجر في التنقل ، والاستقلال ، وكباعة جائلين[٣] .

وجاءت الأعمال التي مارسها الغجر متوافقة مع ثقافتهم من ناحية ، ونمط حياتهم من ناحيةٍ أخرى ؛ إذ ارتكزت بالأساس على تقديم خدمات وأنشطة توفر لهم

الحد الأدنى من مدة الاتصال ، وتتماشى مع تلبية الحاجات الوقتية لأناس متغيرين[٤] .

ومن هنا تأتي إشكالية الفصل بين العمل والتصنيف العرقي ؛ فالأعمال التي امتهنوها تدخلنا في صعوبة تحديد الفوارق ؛ فليس كل من يعمل في المجالات المنسوبة للغجر يكون غجريًا ، فقد برع في نفس الأعمال مجموعة أخرى يمكن أن نطلق عليهم (المتغجرون) الذين تعلموا الكار على أيديهم ، وساروا على منوالهم في المعيشة أو العمل[٥] ، فعلى سبيل المثال ليس كل قرداتي غجريًا ، حيث ذهب البعض إلى أنه لا يمكن إدراج جميع القرداتية مثلاً ضمن جماعات الغجر ، ولا ينبغي أن تعبر ممارسة تلك المهنة عن مدلول يساوي غجري إلا إذا التصقت به كلمة الغجر فيصبح (القرداتية الغجر) ، فكلمة قرداتي تصف مهنة ، ولا تنسحب على جماعة أنثروبولوجية[٦] . وينطبق هذا على العديد من المهن التي يعمل بها أشخاص ليسوا من الغجر كالثعبانية من الدراويش الرفاعية ، والأُدباتية ، والمداحين ، والراقصات وغيرهم .

وتساعد الوثائق- في بعض الأحيان- في تحديد الغجر منهم ، حيث يطلق لقب الأغراب قبل المهنة أحيانًا ، فتقول - مثلاً القرداتية الأغراب ، وهنا يتأكد للباحث انتماؤهم للغجر ، وأحيانًا أخرى تذكر الوثائق الغجر والطوائف المشابهة لهم في أسلوب الحياة والعمل ، فتُطلق عليهم جميعًا «السارحين على باب الكريم لأجل معاشهم»[٧] ، أو يتم تصنيفهم داخل جماعات الخردة ، ويعاملوا جميعًا نفس المعاملة حتى أنه يتم إدراجهم ضمن التعداد كجماعةٍ واحدةٍ[٨] .

ورغم هذا التداخل بين الغجر وغيرهم في ممارسة بعض المهن ، إلا أن تلك الحقول برع فيها الغجر والمتغجرون- ممن تربوا على أيديهم وصاروا يتعلمون المهنة منهم ، أو من عاشوا حياتهم بشكل مشابه للغجر- أكثر من غيرهم .

ولما كان نظام طوائف الحرف الذي عرفه المجتمع المصري في العصر العثماني والقرن التاسع عشر لا يقتصر على التجار والصناع ، بل شمل العديد من المهن حتى الهامشية منها كالمداحين والشحاتين ، وحتى العاهرات[٩] ، فقد انتظم الغجر- على الرغم من أعمالهم الهامشية- كغيرهم بطوائف تنظم أوضاعهم المهنية ، وتكون همزة وصل بينهم وبين الإدارة .

١- الحدادة :

تُعد الحدادة من المهن الرئيسة التي عملت بها جماعة الغجر ، ويعمل الحدادون من الغجر على صنع الأقفال ، والمسامير الحديدية الصغيرة ، كما يقومون بإصلاح الغلايات والأباريق[١٠] .

وتكشف وثائق التعداد الخاصة بطائفة الغجر أن تلك المهنة لم تكن رئيسة لديهم ، وأن عدد العاملين بها لم يكن كبيراً ؛ فتذكر الوثائق أسرة علي الحداد البالغ من العمر ثمانين عاماً ، ويعمل ولداه وهما حسين وحسن بنفس المهنة[١١] . وتشير الوثائق إلى أن هناك وراثة لتلك المهنة ، حيث تم رصد أكثر من حالة يعمل فيها الأب وأولاده جميعًا بالحدادة[١٢] .

وعلى الرغم من بدائية الأدوات المستخدمة في مهنة الحدادة إلا أنها كانت كافية للقيام بوظيفتها تبعًا لظروف العصر وإمكاناته[١٣] ، ويقيم الحدادون - بشكل عام- في حي مخصص لهم عرف بحي النحاسين ، وبه قاموا بعمليات الخراطة بالأقلام الجافة المتينة ، وغيرها من أمور الصنعة التي تميزت بالدقة[١٤] .

وارتبط عمل الغجر بالحدادة ببعض الأساطير المتوارثة ، ومنها أسطورة« لعنة المسمار الرابع»[١٥] . التي ظلت تطارد الغجر ، وتربطهم بهذه المهنة ، كما ارتبط العمل بالحدادة والنار من ناحية أخرى بمعتقدات السحر وبالرقص والموسيقى لديهم[١٦] .

٢- الخرازة :

تكشف الوثائق عن ممارسة الغجر للخرازة والمتمثلة في صناعة الخرز ، وعمل الحلي البسيطة منه ، وبيعها ، ويُعرَف الخراز كذلك بأنه الصانع الذي تقوم حرفته على خياطة الجلد ، فخرز الجلد أي خاطه[١٧] أو خراز القصاع ، وتذكر الوثائق أن العديد من غجر الجيزة وأطفيح عملوا بهذه المهنة ، ومنهم على سبيل المثال غباشي غباشي البالغ من العمر ثلاثين عامًا ، وسيد هديب البالغ أربعين عامًا ، وسيد حنفي البالغ خمسة وثلاثين عامًا[١٨] ، وليست لدينا معلومات كثيرة عن الأدوات المستخدمة في هذه الصناعة ، والأسلوب المُستخدَم فيها .

٣- سقاية الماء (حملى) :

عمل بعض الغجر في مهنة الحِملي ، فتذكر الوثائق- على سبيل المثال- عمل محمد عطا الله الغجري البالغ من العمر ستين عامًا ، وروبي عفيفي البالغ من العمر ثمانين عامًا بتلك المهنة[١٩] .

وكان الحملي أو السقا يلبي احتياجات المارة في الشوارع من الماء ، حيث يقوم بحمل قربة من الجلد ذات أنبوبة نحاس على ظهره ، وكان يصب الماء في طاس نحاسي أو قلة فخار ، وأحيانًا يحمل قلة ماء معطر بماء الزهر ، ويضع في فوهة الإبريق غصنًا من النارنج[٢٠] .

واعتاد السقاءون الذين يبيعون الماء بالشوارع أن ينادوا «بعون من الله» ، وأما شكرهم للزبائن فكان ببعض آيات من القرآن : «وسقاهم ربهم شرابًا طهورًا» ، و«إنا أعطيناك الكوثر» ، و«جعلنا من الماء كل شيء حي» ، وكانت أجورهم بسيطة ومتدنية للغاية[٢١] ، حيث يتقاضى الحملي من أفراد الطبقة العليا والوسطى من قطعة إلى خمسة فضة ، أما الفقراء فلا يتقاضى منهم شيئًا ، أو قد يأخذ منهم قطعة خبز أو طعامًا يضعه في جراب يعلقه على جانبه ، ويرتبط عمل الحملي بالتجوال في

الأسواق ، والموالد ، وكذلك القبور ، حيث يتم تكليفهم من قبل البعض من زائري القبور بتوزيع الماء على الراغبين كصدقة ، وفي هذه الحالة كانوا يقومون بملء القرب من الأسبلة ، وعندئذٍ يغيرون من النداء« سبيل الله يا عطشان»(٢٢) .

٤- الحواة والراقون :

الحاوي هو الذي يجمع الحيات ، ويقوم بأعمال غريبة ، وحوى الشيء حواية ، أي استولى عليه وملكه ، ويقال حوى الحية أي رقاها فاستسلمت له(٢٣) .

وتؤكد الوثائق أن العديد من الغجر عملوا بمهنة الحاوي ، فمثلاً عمل بها معوض أبو حمادي الغجري البالغ من العمر ثلاثين عامًا ، وإبراهيم أبو هولة الغجري البالغ من العمر أربعين عامًا ، وعلي بدران البالغ خمسين عامًا ، وعبد الواحد ابنه البالغ خمسة وعشرين عامًا . . . وغيرهم ممن أقاموا بالجيزة وأطفيح(٢٤) .

وينقسم حواة الثعابين إلى فئتين : فمنهم الحاوي البسيط من الغجر والنّوَر الذين يؤدون ألعابًا تعتمد على خفة اليد في الشوارع والميادين ، والدراويش الرفاعية أو الحواة الرفاعية ، أو الراقون ، أو صائدو الثعابين(٢٥) الذين عملوا في استخراج الثعابين من البيوت ، فالحاوي الغجري- حتى وإن مارس نفس المهارة- لكنه أقل شهرة ومكسبًا من الرفاعي(٢٦) .

ولدى الحواة الكثير من الثعابين سواء الميتة أو الحية التي عادة ما ينزعون أنيابها ، ويجيدون التعامل معها ببراعة ، وكل أداوتهم للتعامل معها هي سعفة من النخيل للنقر على الجدران والسقوف ، وبعض الموسيقى التي تجذب الثعابين للخروج من أماكن اختبائها ، ونادرًا ما يفشل الرفاعي أو الحاوي في استخراج الثعابين من المنازل ، وقد حوت بعض المنازل القديمة بالقاهرة ثعابين غير سامة ، ومع ذلك لايجرؤ أحد على الإقامة بها متى أعلن الرفاعي عن وجود ثعابين بها(٢٧) .

وكان حاوي الثعابين ينتقل من مكان إلى آخر ، ويطوف على المنازل ، ويزعم أن لديه أسرارًا في التعامل مع الثعابين والحيات ، ويمسك بعصًا يضرب بها على حائط الغرفة أو المكان مردداً بعض الكلمات (أستحلفك بالله إن كنت في الخارج أو الداخل أن تبرح مكانك وتجيء إليّ ، أو أستحلفك بالاسم الأعظم أن تظهر إن كنت طائعًا ، أما إذا لم تُطع فلتمت لتمت لتمت) ، وحينها قد يخرج الثعبان من شق في الجدار أو من الأرض[٢٨] .

ويفسر البعض القدرة على استخراج الثعابين بمهارة الراقي وخداعه ؛ إذ كان العمل يتم في مكان مظلم ، فمن السهل عليه أن يقوم بتجهيز ثعبان ويخرجه ويحمله للواقفين بالخارج مؤكداً أنه كان بالغرفة ، فلا أحد يستطيع الدخول للغرفة قبل استخراج الثعبان منها ؛ لذا كثيراً ما كان يُطلب من الراقي أن يقوم بعمله في وضح النهار ، ويحيط به المشاهدون ، وذلك بعد تفتيشه للتأكد من أنه لا يخبئ شيئًا ، ومع ذلك كله ينجح في مهمته[٢٩] .

أما الفئة الأخرى التي تجيد التعامل مع الثعابين ، فهم الحواة الذين يقدمون عروضهم بشوارع القاهرة وميادينها ، وعلى القهاوي ، وفي الموالد ، ويمتازون بخفة اليد ، ويتخذون مساعدين لهم ، غالبًا ما يكونان اثنين من الصبيان ، ويلتف حوله حلقة من المشاهدين والمتفرجين على فنونه وألاعيبه المختلفة ، ويقدمون له بالطبع منحة صغيرة عقب تقديمه للعرض[٣٠] ، ويطلق عليهم حواة لأنهم يستخدمون الثعابين في ألعابهم[٣١] ، ويضعونها في جراب خاص ، ومن هنا يأتي المثل الشعبي (ياما في الجراب يا حاوي) ، فهو يخفي في أدواته حيات يُخرج منها ما يشاء وقت الحاجة[٣٢] .

وكان الحواة يقومون بحيل وألاعيب مختلفة ، ويقدمون بعض النكات الساخرة والفكاهات الماجنة أحيانًا لينالوا استحسان الحاضرين ، وذلك بمساعدة مجموعة من

الصبية الذين كانوا يقومون بمعاونتهم ، أو يكونون بمفردهم في بعض الأحيان[٣٣] . ويحدثنا دارسوا الأزياء عن ملابس الحواة حيث كانوا يرتدون جلابيب طويلة تتسع عند الذيل ، وفتحه رقبة على شكل سبعة ، وزرايز أمامية وأكمام طويلة . ولمعالجة طول الجلباب والأكمام ، لتسهيل الحركة والعمل ، فإنهم يلجأون إلى وضع حزام بالوسط يُلف حوله الجلباب ، كما يقومون برفع الأكمام ويثبتونها بشريط[٣٤] .

ولا تخلو حلقات المشاهدة للحاوي من بعض المشاكل والحوادث ، فالمتفرجون يقتربون منه ، حيث يثيرهم ما يفعله ، وكيفية تمكنه من الإمساك بالحيات والحشرات مما يدفع البعض إلى محاولة الاقتراب من تلك الحيات ، بل وطلب الإمساك بها مثلما يفعل هو ، الأمر الذي أدى إلى لدغ الحية لبعض الأفراد ، وموتهم جراء سمها ، ولاسيما أن الحاوي لا يأخذ الحيطة الكافية لتأمين المشاهدين ، فهو يهتم بمحاولة إرضائهم لاستجداء عطفهم ، ولكسب مزيدٍ من الأموال ، كما أنه يدور بالطرقات والشوارع والموالد بهذه الحشرات السامة[٣٥] .

ومن الأمثلة الدالة على تلك الحوادث قيام أحد الحواة قاصدًا الإحسان والاستجداء بالوقوف أمام منزل علي مصطفى بجهة ببا التابعة لمديرية بنى سويف ، وكان معه ثعبان ألقاه على الأرض بادئًا في العروض ، وما كان من صاحب المنزل إلا أن قام بالتفرج ، وحاول الإمساك بالثعبان ، فتناوش الثعبان أحد أصابع يده ، ولدغه فيه ، فسقط مغمًى عليه ، وتوفي من أثر السم ، وهنا قام ديوان الداخلية بنشر بعض القرارات الصادرة عام ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م بمنع الحواة وغيرهم من سائر الناس من حمل الحشرات السامة أو وجودها عندهم بأي صفة كانت ، وأن يتم التنبيه على كل محترف بحرفة الحواة والأشخاص المعروفين بالرفاعية الذين اعتَبروا حمل هذه الحشرات حرفة لهم ، ويدَّعون أن لهم معرفة بإخراجها من المنازل والمحلات ، أن كل من يُضبط عنده نوع منها يُجازى قانونًا على مخالفته للتنبيهات[٣٦] .

وبالطبع فقد أثر هذا القرار على هذه الفئة التي انضمت إلى جموع الشحاتين من العاطلين الذين ازداد إحساسهم بالدونية والفقر .

لهذا اتجهت الدولة مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلى تقنين أوضاعهم ، فقد رصدنا العديد من الطلبات المقدمة للإدارة للحصول على رخصة لفتح محل حاوي ، ورُصد بالرخصة اسم الشخص ومكانه والمدة المطلوبة ، ومن خلال الطلبات اتضح أن فئات الحواة دخلها أشخاص لا ينتمون إلى الغجر ، ولا يشبهونهم ، وقد رُصدت طلبات قدمها حواة للإدارة يطلبون فتح محل مؤقت أثناء الاحتفالات أو الأعياد ، ومن ذلك- على سبيل المثال لا الحصر- التصريح المُعطى من مديرية البحيرة لمحمد موافي إبراهيم وصناعته لعاب خيال الظل وحاوي ومقيم برشيد بفتح محل عمومي وقتي« محل حاوي» عام ١٩٠٣م(٣٧) .

وكان يتم تحديد المدة الموافق عليها من قبل الإدارة لفتح المحل في بعض التصريحات ، حيث صرح لشحاتة محمد المقيم بدمنهور بإمكانية فتح محل حاوي أفرنكي في الكفر بدمنهور لمدة ثلاثين يومًا من ٢٣ نوفمبر ١٩٠٢م لغاية ٢٢ ديسمبر ١٩٠٢م(٣٨) .

٥- القرداتية :

القرداتي هي تسمية مأخوذة من قيام شخص بتدريب مجموعة من الحيوانات كالقرد والكلب والحمار والجدي على أداء بعض الحركات ، ويستعرضهم في الشوارع والأسواق والمقاهي لكسب مبالغ مالية ، فيلتف حوله الناس لمشاهدة العروض المقدمة منه ، ويقوم بالدق على الدف والغناء ليُلفت إليه الأنظار ، بينما يؤدي القرد حركاتٍ مضحكة(٣٩) .

وكانت المبارزة بالعصا بين القرداتي والقرد من العروض التي يتم تقديمها للتسلية ، كما يقوم القرد بأعمال هزلية مختلفة منها عجين الفلاحة ، كما يتدرب

القرد على إلقاء التحية على الحاضرين ، واللعب بالعصا ، والعزف على الناي ، وغالبًا ما يتم تدريب القرود الصغيرة المسماة بالنسانيس ، ويطلق عليه صاحبه اسم ميمون(٤٠) .

كذلك كان الحمار يقدم عرضًا ينال إعجاب المتفرجين ، حيث يُطلب منه اختيار أجمل فتاة في الحلقة أو الدائرة المحيطة بالقرداتي ، فيتقدم إليها وأنفه إلى وجهها ، كما يشترك الجدي بالعروض ، حيث يؤمر بالوقوف على قطعة خشبية صغيرة فتكون سيقانه الأربعة متلاصقة ، ثم ترفع القطعة الخشبية والجدي فوقها ، ويُوضع تحتها العديد من القطع ليبدو مرتفعًا ارتفاعًا شاهقًا ، وأيضًا كان للكلب دور بتلك العروض ، حيث يتم تدريبه على الزحف على بطنه مقلدًا اللصوص ، ويتعمد القرداتي الغرابة في رداء القرد ؛ فيقوم بإلباسه زي عروس أو ملابس امرأة منتقبة ، ويضعه فوق الحمارِ(٤١) ، كل هذا لقاء مبالغ مالية زهيدة تكفي بالكاد المستلزمات الأساسية والصرف على الحيوانات التي يتم تدريبها ، ومن هنا كان المثل الشعبي (اللي يعمل به الجدي يعلق به الحمار) ، وهو مثل يقال على لسان القرداتي(٤٢) .

وقبيل الانتهاء من العروض يقوم طفل صغير يحمل في يده طبق نحاس بالمرور على المتفرجين ليجمع فيه ما يجودون به عليهم من نقود ، وهو ما يدرجه بعض الباحثين كنوع من الاستجداء بشكل آخر(٤٣) .

ويقيم القرداتية بالقاهرة بداخل منطقة تُسمى عزبة القرود ، وتقع بين غمرة من ناحية الزاوية الحمراء والممتدة حتى دير الملاك ، وهي المنطقة التي تُعرف الآن بعزبة حشيش أو عزبة الصفيح ، وفي الإسكندرية كان القرداتية يقيمون بمنطقة تقع خلف محطة غبريال ، وهي منطقة بها عشش وأكواخ صغيرة وإسطبلات للحيوانات(٤٤) .

وكما قام القرداتي بتدريب القرود على أعمال البهلوانات ، وإضحاك المتفرجين وإبهارهم ، فقد يتم تدريبهم أحيانًا على سرقة الحاضرين من الجمهور «مما تسبب في

وقوع الأذى» للناس ، الأمر الذي دفع شيخ طائفة الحواة والقرداتية بمصر المحروسة عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م إلى الشكوى من بعض أفراد الطائفة الغرباء- ويبدو هنا أنهم من الغجر - وتحديداً قُدمت الشكوى في هواري وأخيه علي الشاذلي لقيامهم بتسريح القرود الكبار في هذه البلدة ، وينزلون في الواصل والمراكب ، ويسرقون الغلال بمساعدة القرود ، ومن ثم حصول الأذى لخلق الله ، وتمزيق هدوم الأهالي والإشكال منهم ، وبناءً على ذلك صارت المخاطبة إلى معاون بولاق بإجراء التحقيق(٤٥) .

وكانت طائفة القرداتية مادة خصبة للدراما السينمائية بصور عديدة ؛ فقد قدَّم على سبل المثال فيلم القرداتي عام ١٩٨٧م ، للمخرج نيازي مصطفى ، صورة لطائفة القرداتية الذين يعيشون في حي خاص بهم ، حيث دارت أحداثه حول الشاب فتوح الذي يتعرف على المعلم بيومي أثناء وجوده في السجن ، وبعد أن خرج من السجن عاد إلى النصب ، فحاول الاختباء بحي القرداتية ، وطلب أن يتعلم مهنة القرداتي ، وتم توفير قرد له سُمي بـ سمسم ، فقام بتدريبه على السرقة التي قام من خلالها بجمع قدر كبير من الأموال ، والاختفاء من الحي ، ليظهر كرجل أعمال خارج الحي ، بينما تبحث عنه بطلة الفيلم للانتقام منه(٤٦) .

٥- البهلوانية :

زاولت هذه الحرفة إحدى جماعات الغجر ، والذين عُرفوا بالنّوَر ، والبهلوان هو ذلك الشخص البارع في ممارسة الألعاب الرياضية التي تتطلب خفة الحركة ، والتوازن الشديد ، محاولاً إدهاش الناس بحركاته(٤٧) ، فهم يستعرضون قوتهم ومهارتهم في القاهرة . ويقوم عمل البهلوان على استعراض مهاراته الحركية ، حيث يقوم بربط الحبل في مئذنة مسجد على ارتفاع عظيم من الأرض ، ويمتد الحبل مئات الأمتار مرتكزاً على عدة مواضع على سوارٍ مثبتة في الأرض ، ولكي يحقق الراقص التوازن المطلوب فهو يستعمل مدرة طويلة ، ويستعرض مهاراته أثناء السير على الحبل ؛ فكان

يرقص تارة ، أو يسير عليه منتعلاً قبقابًا مثبتًا قطعة صابون على كل كعب من كعبيه ، أو قد يجلس على صينية مستديرة على الحبل ، وهناك بعض الألعاب البسيطة والأقل خطورة منها القفز في وسط طوق(٤٨) .

وتتميز ملابس البهلوان بالشكل الفكاهي المريح ، وتختلف باختلاف ، ما يقدم من عروض ، فيأتي اختياره للملابس حسب ما يهدف إليه سواءً لإضحاك الناس أو لإبهارهم بحركاته فقط ، فقد يرتدي البعض منهم سروالاً فضفاضًا وحذاءً ضخمًا مع عصا وقبعة ، وقد يرت بينما يلبس البعض الآخر سروالاً فضفاضًا وفوقه معطفًا ضيقًا وقبعة صغيرة وحذاءً ضخمًا مما يثير الضحك لعدم تناسق الملابس وهو الأمر المقصود(٤٩) .

وقد يحاول البهلوانية التنصل من الرسوم المقررة عليهم ، وعدم الدفع لفترات طويلة مما يؤدي إلى تراكم الضريبة عليهم ، وعندها يتقدمون بشكوى بسبب زيادة الضرائب المقررة ، حيث ترصد الوثائق العديد من الشكاوى من أفراد الطائفة من زيادة المقررات عليهم ، حيث قدم أفراد من طائفة البهلوانية «قضية تداعي بهلوانية مقيمين بجهة قبلي في حق الحاج دياب والحاج عبد الرحيم في أخذهم منهم دراهم زيادة عن المقيد عليهم بطرف شيخ الطايفة محمد مصطفى»(٥٠) .

ويقوم البهلوانية بدفع العوائد المقررة عليهم لجهة الخردة ، والتى تبلغ من عشرة قروش لغاية خمسين قرشًا في السنة بمعرفة مشايخهم(٥١) .

٦- قراءة الطالع :

يختلف الرحالة في القبيلة التي تزاول مهنة العرافة ، فبينما يرى لين أنهن من نساء الغجر ، وخصوصًا من النّوَر ، يرى بورتون أنهن ليسوا من الغجر ، بل من الحلَب ، وعلى أية حال سواءً كن من النور أو من الحلب فكلاهما يندرج ضمن جماعات الغجر الرُّحل .

وللعرافات طريقة معينة في الإعلان عن أنفسهن ، وإعلام النساء بالبيوت أو المارة عن وجودهن ، فصيحاتهن لها إيقاع معين ، وكلمات محددة ؛ إذ كنَّ يتجولن بالشوارع في المدن والأرياف ينادين بنغمات ثاقبة : «تعالي ياللي ترغبين في التنبؤ بمستقبلك . . سينكشف لكي الماضي والمستقبل» ، أو بعبارات أقصر مثل : «تعالي شوفي حظك» ، أو «تعالي شوفي البخت»(٥٢) . ويذكر بورتون كذلك أنهن ينادين بصوت عالٍ «نبين زين» و«نحضر الغائب» ؛ للإعلان عن قدرتهن على قراءة الطالع ، وكنوعٍ من الاستبشار بالأخبار الجيدة في المستقبل(٥٣) .

وترتدي العرافة الثوب والطرحة ؛ وذلك لإظهار الوقار والحشمة ، فالثوب أسود اللون ، وتربط منديلاً على رأسها يعلوه طرحة تلفها حول رأسها ، وتزين وجهها بحلق في منطقة الأنف ، وقد تكون في فمها سِنَّة ملونة ، وتدق الوشم على ذقنها ، وترتدي حليًا رخيصة الثمن(٥٤) .

والغجرية التي تقوم بقراءة الكف تمتلك – في الواقع– مجموعة من السمات ، فهي ذات فراسة وذكاء وشجاعة وجرأة في الحديث مع زبائنها ، حيث تندمج معهم في الحديث لتستطيع فهم بعضٍ من دخائلهم وأسرارهم بما يمكنها من نسج آمالٍ عذبة ، والتحذير من بعض الأمور(٥٥) .

فالأمر إذن يحتاج إلى قدرٍ كبيرٍ من الذكاء ، فأثناء ممارسة قراءة الكف تأخذ العرافة الغجرية اليد اليمنى للشخص الذي تقرأ له الطالع ، وتمسكها بأطراف أصابعها التي تنحني بلطف للوراء لجعل الخطوط الموجودة على راحة اليد أكثر وضوحًا ، وتتمتم ببعض الكلمات والتعاويذ ، وتدقق النظر إلى تلك الخطوط للحظة أو اثنتين ، ثم ترفع عينيها الثاقبتين وتثبتهما على عين طالب المعرفة ، وتنظر فيهما بتركيزٍ شديدٍ وكأنها تقرأ قدره المكتوب ، ثم تكشف له النتائج ، وتطلعه على المستقبل بمنتهى الحزم والتأكيد ، وتلعب المصادفة دورًا في قراءتها ، ويتحدد المستقبل وفق

النقود التي تحصل عليها ، فهؤلاء يكشفن للناس عن مختلف الأخطار التي تواجههم ، وعن مستقبلهم ، وزيجاتهم ، وعدد الأولاد الذين سيُرزقون بهم ، والعدو الذي يجب اجتنابه ، والرجل الذي يحب أو يُحَب(٥٦) .

والبعض منهن يستخدمن صدفًا صغيرًا ، وزجاجًا مكسورًا ، وحجرًا ملونًا صغيرًا من العقيق يشبه الأحجار الكريمة ذات اللون الأحمر ، تقوم بتفريغه من حقيبتها المصنوعة من جلد الغزال الموجود بها ، وتجلس مفترشة الأرض على سجادة أو حصيرة ، وتقوم برمي الصدف بشكلٍ متكررٍ على السجادة بعد العديد من التعاويذ ، وبتعابير وجه غاضبة ، وتكرر تلك العملية مع الاستمرار في التعاويذ ، وتستنتج من خلال ترتيب أماكنها المستقبل ، وإحدى الصدف تكون ممثلة للشخص الذي يتم قراءة طالعه ، فإذا سقطت – على سبيل المثال– في دائرة من الصدف الآخر فهي تكون إجابة على سؤال هل سيبقى أصدقاؤه أوفياء له وقت الحاجة؟ ، وتنتهي تلك العمليات وقراءة الطالع بأن تقوم العرافة بإعطاء زبائنها بعض الشموع ، والحجر الملون كنوعٍ من التمائم السحرية(٥٧) .

وهناك فئة منافسة للغجر في قراءة الطالع وهن السودانيات ، حيث تقمن أيضًا بافتراش الأرض في الشوارع والأسواق ، وهن يتخذن نفس الأدوات ونفس المناداة «ندق ونطاهر» ، أي لديهن مقدرة على دق الوشم ، وإجراء عملية ختان الأطفال الصغار ، كذلك «نفتح البخت ونبين الحاضر والغائب»(٥٨) .

وترتبط بحرفة قراءة الطالع حرفة أخرى وهي الوشَّامات ، فالوشم من المأثور الشعبي ، وهو مجال فني استطاع الصمود لفتراتٍ زمنية طويلة محققًا وجودًا قويًا في الحياة الشعبية ، كما تأثر بمجريات الأحداث ، فمر بمراحل عديدة لكل منها سماتها ، ورمزيات الرسوم المعبرة عنها(٥٩) .

وتقوم نساء الطبقة الدنيا بالتزين عن طريق وشم الشفة السفلى والذقن

والسواعد والأيدي ، ونلاحظ اختلاف الرسومات باختلاف العصر ؛ حيث يتغير الوشم تبعًا لظروف كل عصرٍ وتطوراته ؛ إذ تأثر بمجيء المسيحية ، حيث أضيفت إليه رسومات كوشم القديس جرجس ، وعندما جاء الإسلام اختلفت رسوم الوشم عن السابق ؛ إذ حارب الإسلام تصوير الأشخاص ، فأصبحت الرسوم مرتبطة بالأشكال الزخرفية كالنجمة والقمر والهلال والزهرية(٦٠) .

وظل الوشم متوارثًا طبقًا للعادات والتقاليد ، ومنه ما ارتبط ببعض المعتقدات كرسم السمكة كرمزٍ للإخصاب ، حيث تذهب الفتيات قبل الزواج لدق السمكة كوشم يعبر عن التفاؤل وكثرة النسل ، ويظهر تطور آخر على الوشم يرتبط باضمحلال الفنون في العصر العثماني ، فنلاحظ الاكتفاء برسم خطوط بسيطة مع بعض النقاط ، أو رسم بعض الأزهار في مناطق بالجسم كنوعٍ من التزين ، وتطورت الرسومات مع قدوم الحملة الفرنسية ، فيلاحظ أن الوشم شمل مناطق عديدة بالجسم ، واستعاضت به الطبقات الدنيا عن المصاغ والمجوهرات(٦١) .

وقد استعملن اللون الأسود والأزرق ، وكانت تُطلق مسميات على نوع الوشم ومكانه ، فيسمى الوشم تحت الجفن بكحل القطة ، وعلى الخد بوشم هلال ونقطة ووشم ما بين الحاجبين يُسمى هلال ، والدوائر على الخد تسمى بالردعة(٦٢) .

والغجريات لهن شهرة واسعة بهذه المهنة ، حيث يطفن في الشوارع بالمدن والقرى ، ويقمن بوشم الفتيات ، كما يقمن بعملية الحف للنساء ، وللإعلان عن قدومهن ، فهن ينادين (ندق ونطاهر) ، فهذا الإعلان عن قدرتهن وبراعتهن في دق الوشم(٦٣) .

والواشمات الغجريات يمتلكن الخبرة في هذا العمل ، ثلاث أو أربع إبر معًا وتغط فس حبر أسود أو أحمر أو أزرق ، ويوخذ به الجلد حتى يتخلله الحبر ، وقد نتج عن تلك العملية التهاب في مكان الوشم ، يدوم نحو أسبوعين ، ثم يزول وتتجنب

الواشمة ملامسة الشرايين ، كما تؤكد على الموشوم ضرورة أن يتحاشى المياه حتى يجف الدم ، وتضع الواشمة بعضًا من الزيوت أو مزيجًا من سناج الخشب مع الزيت ، وبعد أسبوع من تلك العملية توضع على الوشم أوراق من السلق أو نبات البنجر الأبيض لتُكسب الوشم لونًا أزرق مائلاً إلى الخضرة ، والوشم لدى بعض الغجر إما دليل على نضوج المرأة وتأهلها للزواج ، أو دليل على الانتقال إلى مرحلة الشيخوخة ، أما بالنسبة للرجل فهو رمز القوة والشجاعة(٦٤) .

٧- الغجر والفنون الشعبية :

وترتبط ثقافة الغجر بطريقة حياتهم وأسلوبها ، فهم يفضلون - بشكل عام- الحرف والمهن التي تتماشى مع نمط التجوال ، وطبيعة العزلة ، وسمات الحرية وعدم القيود التي انعكست على تراثهم وفنونهم ، وجاءت تعبيراً عن حبهم للحياة بعيداً عن القيود المتمثلة في القانون والمجتمع(٦٥) .

- الرقص الشعبي :

عرفت مصر منذ أقدم العصور فن الرقص ، وكان محببًا للكثير من العوام ، رجالاً ونساءً ، وقد تم تصوير الرقص على جدران المعابد والمقابر الفرعونية القديمة ، والتي توضح تقديم رقصات ذات طابع ديني وجنائزي ، إذ تم تصوير النساء يتقدمن مواكب الدفن(٦٦) .

وكان الرقص معروفًا أيضًا في الحضارتين اليونانية والرومانية ، فالفتيات اللواتي يهبن حياتهن للمعبد يشتركن في تقديم رقصات كجزء من المراسم الدينية ، ثم استمر بعد ذلك الرقص في العصر القبطي ، والملاحظ أن هذا الرقص يمثل جزءاً من النسيج الجنائزي المصور على أكفان الموتى ، ولا شك في أن ذلك يُعَد تأثرًا بالرقص في الحضارة المصرية القديمة(٦٧) .

وقد انتمت أشهر الراقصات إلى قبيلة الغوازي ، والتي كانت المرأة فيها تسمى غازية ، والرجل يُدعى (غازي) ، وكانت النساء ترقصن سافرات في الشوارع العامة وفي المقاهي لتسلية الناس[٦٨] ، حيث كانت المقاهي من الأماكن التي يعرضن فيها فنونهن المختلفة لتسلية الناس ، ولكسب المال من روادها البسطاء ، كما يقدمن عروضهن أيضًا في أفنية المنازل ، وأثناء الاحتفالات المختلفة من زواج وختان ومولد الأطفال . . . وغيرها ، وفي حالة الرقص داخل البيوت يتم تنظيم أماكن تواجد تلك الفرق بحيث يجلس الموسيقيون في ركن من البهو ، بينما يجلس الحاضرون على الدواوين ، وتُقدم للجميع أقداح العرق التي تجعلهم يستغرقون بالتدرج للإمعان في الرقص[٦٩] .

وكانت الغوازي مكشوفات الوجوه والسواعد والنهود ، ويضعن على أوساطهن مآزر ذات ألوان مزركشة ، ويضعن على رؤوسهن الطواقي ، كما اشتركن مع نساء العامة في ارتداء الملاءات ، وكذلك ارتدين الشاش على رؤوسهن مع التزين باستعمال الحلي بكثرة من عقود وأساور وخلاخيل ونقود ذهبية تُصف فوق الجبهة ، وكنَّ يضعن خزامًا في الأنف ، ويقمن بالتكحل[٧٠] .

وقد طرأ على زي الغوازي بعض التعديلات بمرور الزمن واختلاف العصور ، وإن كانت بسيطة ، ففي أواخر القرن التاسع عشر ارتدت الغوازي قميصًا بكم أو ثلثي كم ، ويلك[٧١] قصيراً يصل إلي أسفل الصدر بأكمام أو بدون ، وسروالاً داخليًا وعليه جونلة ، وحول الوسط يرتدين عزامة تتدلى منها جهة الأمام شرائط بنهايتها مجموعة خيوط مجمعة ، ومع بدايات القرن العشرين شهد زي الغوازي تطوراً بسيطًا آخر ؛ إذ ارتدين بخلاف الزي السابق القميص والعنتري[٧٢] بدون أكمام ، ويكون قصيراً ، كما ارتدين سروالاً داخليًا وجونلة ، ولكنها أقصر مما كانت في السابق ، وروعي أن تكون مزينة بالترتر والخرز وخرج النجف ، ويرتدين أسفل الجونلة عزامة من رباط محشو

يرتدينه تحت التنورة لرفعها ، ويرتدين- كما في السابق- حزامًا تتدلى منه أشرطة مطرزة ، ويضعن تاجًا على رؤوسهن[٧٣] .

ولم يقف التطور على الزي ، بل امتد إلى أسلوب الرقص وطريقته ، فهي تختلف من وقت لآخر ، فأثناء القرن الثامن عشر كان رقص الغوازي غير منفرد ، فهو ثنائي أو رباعي بحيث تقف الواحدة منهن في مواجهة الأخرى ، وتحاولان أثناء الرقص متابعة حركات بعضهما ليظهرا في تناسق وتناغم ، وأثناء الرقص يتم تقديم النكات ، وبين الرقصات قد يقمن بقراءة الطالع لمن يرغب من الحاضرين[٧٤] .

ولكن السمة العامة هي أن الرقص يُظهر رشاقتهن ، فيبدأن بحركات بسيطة وهادئة ، حيث يحتفظن بالجسم والساقين في وضع السكون ، بينما يكون الذراعان في أوضاع الارتفاع والانخفاض ، أو يلتقيان حسب الأطوار المختلفة التي تستثيرها هذه الحركات ، وتكون أجسامهن بعد ذلك مضطربة أحيانًا اضطرابًا شديداً ، وتضعف أحيانًا بما لا يدع مجالاً للملل ، وتُطبع كل هذه الحركات بطابعٍ يتنافى مع الحياء ، وتُصاحب ذلك كله دقات الطبول والصاجات التي تتسق مع حركات أجسامهن ، ولا يتسم رقصهن بأي نوعٍ من العفة ، فكما يصف كلوت بك (على صنوف تنوعه أولها ، وهو أدلها على ما هناك من جرأة في أداء تلك الحركات ، مصري الابتكار ، وثانيها خليط من الرقصين المصري واليوناني والذي يتخلله التنقل بالخطوات ، وثالثها الرقصة المعروفة بالنحلة) ، والتي تُعَد من أشهر الرقصات[٧٥] ، حيث تمثل الغازية أن النحل يلسعها ، وتغني مقطعًا يقول النحل يا هوه . . . . يا ناس حوشوه ، ثم تخلع ثيابها قطعة قطعة تألمًا من لسعات النحل حتى يلقي عليها الرجل الذي يساعدها (الخلبوص) ملاءة كبيرة ، وتقرع الطبول إيذانًا بانتهاء الرقصة[٧٦] .

ومن الرقصات المعروفة أيضًا رقصة العاشقة ، وهي تتركز في تأدية الحركات بالغة الإباحية ، حيث تمثل دور العاشقة بشكلٍ صامتٍ يخلو من الذوق واللياقة ،

ولمزيد من الإثارة للمتفرجين قد تقوم الغازية بتغطية جزء من وجهها ، وتترك عينيها الموضوع بهما الكحل للتزين والتجمل ظاهرتين ، ويتدلى العقد على صدرها . وعمومًا فهو في مجمله يتنافى مع الحياء والحشمة ، ويبدأ شهوانيًا ، ثم داعرًا ، ولا يحمل في مجمله للناظر سوى النفور الحسي(٧٧) .

وقد ظهرت طائفة من الرجال الذين احترفوا الرقص ، وربما جاء ظهورهم نتاج قرار محمد علي بمنع الرقص بالشوارع ، وبنفيهم إلى صعيد مصر ، فزادت أعدادهم ، وانتشر رقصهم وهم يرتدون ملابس النساء ، ويتزينون ، ولا يثير رقصهم- حسب وصف كلوت بك- سوى الاشمئزاز والتقزز والاستنكار ، وقد أطلق عليهم اسم يدل على الدونية والانحطاط(٧٨) ؛ فقد كانوا يرتدون ملابس تناسب ما يقدمونه من رقصات ، فيلبسون سترة ضيقة وحزامًا ، ويتركون شعورهم ويجدلوها على طريقة النساء ، كذلك عندما يسيرون بالشوارع في غير وقت الرقص فإنهم يرتدون حجابًا ، ويرجع هذا التصرف إلى تقليدهم للنساء ، وليس رغبة في التخفي أو خجلاً من المجتمع(٧٩) .

ويظهر- في كثير من الأحيان- التنافس في تلك المهنة ، والرغبة في الحصول على المال عن طريق إحياء الاحتفالات البسيطة ، ومن ذلك التنافس الحادث بين أعضاء أسرة واحدة من الغوازي على إحياء أحد الأفراح بمنزل أحد كبار القرية(٨٠) .

وتنضم الغوازي إلى فئة أشمل وهي العوالم ، لكنها بالطبع تختلف عنها سواءً في طريقة الرقص وأسلوبه ، أو في الأماكن التي يتم الرقص فيها ، وترصد الوثائق تعامل الدولة مع مسألة إحياء الاحتفالات بالمنازل من خلال الطلبات المقدمة من أصحاب هذه الحفلة ، والتي توضح اليوم والمكان ، واسم الأسطى التي تحيي الاحتفال ، ومن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر- الطلب المقدم من أبو العلا المنجد الذي يقر فيه بـ« أن عنده مهمة بمنزله الكاين بدرب سعادة ليلة الخميس

الجاري ، ومقصوده حضور الأسطا فاطومة ، فإذا لم يوجد مانع بطرفكم فيعطا الرخصة»[٨١] .

كذلك يتقدم علي جاويش بعرض ينهي فيه« أن عنده مهمة بمنزله الكاين بحارة درب اللبانة ينتمي للدرب الأحمر ليلة الخميس الجاري وعنده الأسطا سيدة ، وليلة الجمعة ستة الجاري وعنده تخت محمد الآلاتي ، فإذا لم يوجد مانع فيعطا الرخصة حسب الجاري»[٨٢] .

وهنا يكمن الفرق بين الغجر ممن عملن بالرقص في الشوارع والموالد والمقاهي ، وبين فئة العوالم التي هي- في الغالب- مغنيات يصطحبن معهن فرقة من الآلاتية ، ويقدمن عروضًا أكثر احتشامًا من الغوازي ، وبمعرفة الدولة وترخيصها .

وتندرج الغوازي والراقصات ضمن مقاطعة الخردة ، والتي تدار عن طريق نظام الالتزام ، وكان للغوازي شيخ مسئول عنهن ، وتدفع كل واحدة منهن رسم ممارسة المهنة ، والذي قُدر بمبلغ ١٣٧ بارة سنويًا في القرن السابع عشر[٨٣] .

وفي عام ١٨٣١م صدرت لائحة من الديوان الخديوي بعدم إعفاء أي من أصحاب المهن التابعة لها من العوائد المقررة عليهم مما شكل عبئًا على أصحاب الحرف الدونية المنتمين لتلك المقاطعة ، فالمطلوب يوزع على كل راقصة من الراقصات ، وعلى سبيل المثال تراوح بالإسكندرية ما بين ٣٠ قرشًا إلى ٩٠٠ قرش سنويًا[٨٤] ، الأمر الذي جعل العوائد التي حصلت من الراقصات في عام ١٨٣٣م حوالي ٦٠,٠٠٠ فرنك من ميزانية الحكومة[٨٥] .

ولم تمنع تلك العوائد محمد علي من إصدار قرارات بمنع الرقص بالشوارع ، وفي أواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر استحث عبد الله النديم غيرة الخديو عباس حلمي على الحرمات والآداب ، وكذلك رئيس الوزراء لرفض أعمال البغاء

وكل أشكال اللهو والرقص المثير ، الأمر الذي دفع إلى إصدار قرار في يوليو ١٨٩٤م بإبطال الرقص في القهاوي والمحلات العمومية ، ونتيجةً لذلك امتنع الرقص في كل المحلات عدا محل واحد ، حيث كانت الراقصة متزوجة برجل جزائري تابع لفرنسا ، وفي عام ١٨٩٥م طالب العلماء بإبطال كثير من البدع الفاسدة ومن بينها النساء المسلمات من الرقص في القهاوي وفي المحلات العمومية ، وعدم السير بالشوارع بصورة منافية للآداب(٨٦) .

- الموسيقى :

مارس الغجر في مصر العزف على آلات عديدة أهمها : الربابة ، والكولة التي تُسمى في بعض الأحيان السلامية ، والصفارة ، والمزمار ، وتختلف أصواتها وفقًا لأحجامها وأطوالها وعقودها وثقوبها وسمك جدرانها ، وهناك العازفون على الأرغول الغاب المزدوج والذي منه القصير ، والطويل الذي يصدر صوتًا قويًا ، كما يتقن الغجر العزف على أنواع عديدة من المزمار الخشبي ذي البوق ، ومنه المطعم بالنحاس ويُسمى النصير ، ومنه الحاد والمتوسط ، كذلك أجاد الغجر استخدام الطبول ، وصاحبوا الغوازي في عملهن ، ومنها أنواع متعددة لكل منها وظيفة ودلالة معينة ، وكان لكل طبال مكانه المحدد ؛ فمثلاً توجد طبول محددة للزار ، وتوجد دفوف ، تُستخدَم في الأفراح والأحزان مع الندابات ، ومنها ما كان يُستخدَم بالموالد والمواكب أو أثناء تأدية طقوس الزار ، وهناك الدفوف ذات الشخاليل النحاسية وتستخدم بالأفراح(٨٧) .

وكان العازفون - في الأغلب - يصاحبون الغوازي ، وكانوا من بين أفراد القبيلة ، ويستخدم العازف الكمان أو الربابة مع الدف أو الدربكة أو الزمارة ، وفي العادة تضرب الطارة امرأة مسنة(٨٨) .

وعلى الرغم من النظرة الدونية للآلاتية ، ونعتهم بأنهم قوم فسدت أخلاقهم ، إلا أنه لا يخلو حفل أو موكب عرس ، أو احتفال ديني منهم ، بما في ذلك احتفالات

مواسم الحج ، وقُدر عددهم بنحو ٨٦ موسيقياً[٨٩] .

وعلى غرار التصريحات التي تُعطى للأفراد بالسماح لهم باستقدام إحدى العوالم لمنازلهم ، نجد العديد من الوثائق تشير إلى منح تصاريح تُعطى لاستقدام تخت ، والآلاتي لإحياء حفلات خاصة ، حيث طُلب من علي أبو النصر القاطن ببولاق حضور الأسطا سيدة وتخت الآلات للشيخ محمد الآلاتي[٩٠] .

ويرى بعض الباحثين أن لفناني الغجر دوراً كبيراً في إثراء الحياة ، والقيام بأنشطة ثقافية وفنية ذات طابع فني ، ومنهم الشيخ محمد عبد الرحيم المسلوب الذي أنشأ قوالب الدور والموشح والمقطوعات الموسيقية المصرية ، واكتشف العديد من المطربين ، وكان له دور في ظهورهم ، كما أسهم في تكوين العديد من الفرق والجوقات الموسيقية[٩١] .

- الغجر والقصص الشعبي :

حددت الوثائق الخاصة بتعداد نفوس الغجر بمديرية الجيزة وأطفيح وظائف البعض منهم ، وجاء بعضها ضمن المهن المرتبطة بالقصص الشعبي كالمدح ، والهجاء ، والأدباتية[٩٢] ، وليس معنى هذا أن كل من يعمل بتلك المهن غجري ، فبالطبع ضمت تلك المهن عناصر أخرى غير الغجر .

ولقد حمل الفنانون الغجر التيمات الملحمية المختلفة والقصص الشعبية ، وساروا بها في الشوارع والأسواق والموالد وعلى القهاوي ليتناقلها الناس فيما بعد مما ساهم في حفظ ذلك التراث من الضياع ، ورغم هذا لم يجزم أحد بأن أصول ما يتم تداوله من قصص ملحمية وبطولات يعود لأصل غجري ، فهي تيمات مصرية ، فقصة سعد اليتيم هي أحد تنويعات صراع حورس مع عمه الإله ست ، وقصة بهية وياسين توضح احتجاج قبائل العبابدة على مقتل بطلهم المتمرد ياسين ، و على إغلاق الحدود

المصرية السودانية بأمر الإنجليز[٩٣] .

٨- البغاء :

عمل بعض نساء الغجر من الغوازي بالبغاء حتى إن بعض الرحالة ومنهم لين أشاروا إلى أنهن من أكثر عاهرات مصر فساداً ، فهن يتعلمنه منذ حداثة سنهن ، ولا يتقيدن في سبيل المال بقيود الخلق ، حتى إنهن كن يرحبن بأحقر فلاح من أجل الحصول على أقل ، مال لا سيما أنهن كن يباشرن أولاً مهنة نفعية قبل إتمام زواجهن . أما عن الغازي فهو يخضع لزوجته ؛ فإما أن يكون طبالاً أوعازفًا أو راقصًا إذا كانت زوجته تمتهن الرقص ، أو قواداً يستقدم إليها بعض الرجال[٩٤] .

وفي القرن التاسع عشر اتسم موقف الدولة من البغاء بالتردد ، حيث سمحت بممارسته بترخيص نظير عوائد محددة في الوقت الذي تشددت فيه تجاه من يخدشون الآداب العامة ، حيث كان محمد علي باشا في مطلع القرن التاسع عشر يجمع الفردة منهن ، ولديه قائمة بأعدادهن ، في حين صدرت قرارات في عام ١٨٣٥م ، ووزعت منشورات عامة بمنع العاهرات من أفعالهن الشنيعة ، والعمل على إزالة الفسق والفساد ، وتطهير العالم من شرورهن وشناعتهن ، وسد أبواب بيوتهن[٩٥] .

وعلى ما يبدو فقد عادت تلك الفئات إلى ممارسة عملها مرة أخرى ، الأمر الذي جعل الدولة تصدر قرارات جديدة في عام ١٨٣٦م بتطهير البلاد من المومسات ، وفي عام ١٨٤٧م تم منع البغاء في الجيزة لقربها من مدرسة السواري ، والقبض على العاهرات والمصابات منهن بالأمراض وإرسالهن إلى السودان ، وكما خص الخديو إسماعيل البغايا بالبند العاشر من لائحة التهذيب والتنظيم الصادرة في ١٨٦٦م ؛ وذلك لما ظهر منهم من فساد ، ولاختلاطهم بالأحرار[٩٦] .

وعلى ما يبدو أيضًا فإن الأمر استمر بصورة ما ، سواءً في الخفاء أو بشكلٍ محدود ، ليصدر في عام ١٨٨٠م قانون يمنح مأموري ضبطيات الأثمان مهام القبض

على المتسولين والقرداتية والنساء اللواتي تحترفن الزار ، وشدد في معاملة البغايا ، ومنعهن من السكنى مع الأحرار ، بل ومنع سيرهن بالطرق بشكلٍ غير مُرضٍ ، الأمر الذي يوحي بشكل معين بالتعامل المشروط أو الموافقة على ممارسة الحرفة بدون الجهر بالأعمال المشينة أو الاختلاط بالأحرار(٩٧) .

وكانت هناك أماكن معينة تتجمع فيها البغايا ، حيث يذكر هلال في كتابه أن لهن أحياء معينة في داخل المدن ، وعلى أطرافها ، ولا تجرؤ إحداهن على العيش بين الأهالي الذين لا يتورعون عن تقديم شكوى ضدها ، وعلى الفور يتم ترحيلها ، ويعد حي الأزبكية من أهم المناطق التي شهدت نشاطًا للبغايا بالقاهرة التي كانت مركزًا لهن منذ العصر العثماني ، وأغلب القرن التاسع عشر حتى أمر محمد علي بردم بركة الأزبكية ، وإنشاء حديقة واسعة مكانها ، وفي عهد إسماعيل- والذي شهدت القاهرة في عهده تطوراً عمرانيًا كبيراً- انقسم حي الأزبكية إلى قسمين ؛ : الأول وش البركة ، وحي كلوت بك الذي كان من الأحياء الراقية التي يسكنها الأوروبيون ، وأصبح مع أوائل القرن العشرين مأوى للعاهرات ولا سيما الأوروبيات ، أما القسم الثاني فقد عرف بالوسعة وأوى العاهرات المصريات والنوبيات والسودانيات ، واللواتي كان لهن وجود أيضًا بمناطق عشش معروف الموجودة أسفل الجسر الموصل إلى باب اللوق ، وهذا يعني تركز أفراد المهنة في المنطقة الواقعة من شارع كلوت بك إلى باب الحديد جنوبًا ، ومن باب الشعرية شرقًا إلى مشارف بولاق غربًا(٩٨) .

وهكذا مارست البغايا نشاطهن الذي تسمح به الإجراءات الإدارية نظير دفع عوائد معينة ، والترخيص بإجازة البغاء في الأماكن المرخص لهن بممارسته فيها ، وفي حال ممارستهن لأعمال منافية للآداب العامة كانت تتم ملاحقتهن وإبعادهن من المدن ، حيث تم طرد الحرمة زينب من الإسكندرية إلى بلدها بالمنوفية ، وتم تسليمها بسبب «مسيرها غير لايق»(٩٩) ، كما تم إلقاء القبض على امرأتين اتضح أنهما «لا مأوى لهم ولا أزواج ودايرين على هوا أنفسهم» ، وجرت مجازاتهما(١٠٠) .

٩- الأعمال الخاصة بالسحر :

عرف المصريون أعمال السحر التي تخصص بعض الأفراد فيها ، واتخذوا له أوراقًا يكتبون عليها بعض التعاويذ الخاصة بما يريدون تحقيقه ، وامتلكوا العديد من الكتب الخاصة بهذا المجال ، والتي تساعدهم في التنجيم ، أو استحضار الجن ، وتسخيرهم له ، ولما يريدون عمله(١٠١) . وقد احترف بعض الغجر أعمال السحر ، حيث تفيد الوثائق بإلقاء القبض على محمد البهلوان وولده سيد ، وهما من كفر الحصافة ، وكان بطرفه قطعة قماش بها أوراق وست كتب من ضمنها مجلد محرر عليه كتاب علم الساعات ، ويشتمل على فوائد روحانية ؛ للتأكد من عمله بالسحر من عدمه(١٠٢) .

وكانت الإدارة تهتم بتتبع هؤلاء السحرة ، والقبض عليهم ، ومحاكمتهم ، وتكشف الوثائق عن تواطؤ عمد القرى في أحيانٍ كثيرة مع بعض السحرة الذين تحقَّق تسبُّبهم في ضررٍ للأهالي ، ووصل الأمر إلى حدٍ خوف الأهالي من تقديم شكوى ضدهم ، أو الحديث عنهم رغم معرفتهم بما يفعلونه من أعمال مخالفة . وتكشف الوثائق في كثيرٍ من الأحيان عن تورط هؤلاء السحرة في جرائم أخرى ، وهروبهم منها ، وتخفيهم(١٠٣) ، ورغم هذا كانت الإدارة لا تتورع عن ملاحقة من حامت حولهم الشبهات بأعمال السحر ، وضبط ما لديهم من شواهد تدل على ممارستهم له ؛ تمهيداً لعقابهم في حال ثبوت تهمتهم ، حيث جرى القبض على رجال من قنا وإسنا يعملون في السحر و« وجد بمنازلهم أوراق سحر ، وكتاب ضرب الرمل ، واتضح من شهادات الشهود أن الأربعة مقيمون مع بعضهم ، ويقومون بأنواع من المخالفات والسحر والمفاسد ، وأنهم يُستعملون في كتابات السحر ، ولهم معرفة بأموره ، وبضرب الرمل ، والناس يخافونهم لاصطناعهم لهذا الأمر ، ويخشون من المذكورين لأن ارتكابهم لهذا الأمر فايق الحدود»(١٠٤) . وقد أصدر عباس باشا الأول قرارات بنفي

كل السحرة والمنجمين من العاصمة إلى الصعيد[١٠٥] .

١٠- التسول :

شهد القرن التاسع عشر ، وبخاصة النصف الثاني منه ، أناسًا تاجروا بعواطف المسلمين مستغلين ما فرضه عليهم الإسلام من زكاة وصدقات ، وحقق بعضهم ثروات من وراء سؤال الناس ، والإلحاح عليهم ، وفي الغالب كان هؤلاء ينفقون ما جمعوه من أموال في الملذات كشرب الحشيش[١٠٦] .

ولقد مر التسول بالعديد من المراحل بداية من التسول الصريح ، إلى ممارسة نشاط اقتصادي هامشي يدخل ضمنًا تحت بند التسول (تسول مستتر) كالمداحين والطبالين والقرائين ، ومهن التسلية التي يرتبط دفع المتفرج المستمتع بها والمشاهد لفنونها بمدى تقديره لدرجة الإمتاع التي تسببها ، والتي من بينها القرداتية مثلاً ، وقد ساهمت الظروف الاقتصادية والاجتماعية والأزمات في زيادة حدة تلك الظاهرة وانتشارها في بعض الأوقات[١٠٧] .

وقد وظف المتسولون الظروف لصالحهم ، ولاسيما أثناء الأزمات منذ زمنٍ بعيد ؛ فإبان إحدى أزمات الغلاء في عهد الملك الظاهر سيف الدين ، والقيام بتوزيع الخبز على الفقراء ، اتجه المتسولون إلى بيع الخبز الذي زاد لديهم ، وعندما أمر أحد السلاطين بتطهير البلاد من الكلاب ، وكُلف كل أمير وتاجر بالإمساك بعددٍ معين وتسليمه للوالي لإبعادها عن المناطق السكنية ، قام المعدمون بهذه المهمة لقاءً مبالغ من الأموال ، ويرى بعض الباحثين أن بالتسول اتخذ شكل ممارسة بعض الأنشطة البسيطة كالرواة والمنشدين وعازفي الربابة والبهلوانية والرفاعية والقرداتية والحواة أثناء الحملة الفرنسية ، ثم زاد مع عصر محمد علي فبالإضافة إلى الأنشطة السابقة أضيفت أنشطة أخرى كباعة العرقسوس ، وتسول ذوي العاهات بأولادهم في الشوارع ، كذلك قام الدراويش الذين تستروا بالدين بالتجول بين القرى ، واصطحاب

الطبالين ، والتسول على أبواب المنازل ، وجمع الخبز وخلافه ، ومع عصر الاحتلال البريطاني اتخذ المديح بأنواعه تلك السمة في جمع النقوط من المستمعين لهم[١٠٨] .

المهن الأخرى :

وإلى جانب المهن السابقة التي عمل بها الغجر كان منها القماش والخردواتي والزعيم والجعيدي[١٠٩] ، وكذلك اشتهر رجال الغجر بالعمل في مجال صناعة المناخل من شعر الخيل ومن الجلود ، وإصلاح الأباريق ، وبكي الحمير والجمال وهي مهنة بسيطة ، واشتغل البعض من الحلب بصعيد مصر بالتجارة في الجمال والبقر ، وحقق بعضهم ثروات كبيرة من وراء ذلك ، أما الأقل حظًا فقد يتاجر في الحمير ، وقد عمد بعضهم إلى إخفاء عيوب الحمير وبيعها في الأسواق على أنها سليمة للغاية[١١٠] .

ومن المهن التي عمل بها نساء الحلب ورجالهم الدلالة ، ولا تخلو تلك المهنة أيضًا من أساليب للسرقة ابتدعها الحلب ، وتذكر الوثائق أن الحرمة فطومة الحلبية- والتي تعمل دلالة- قد أخذت من إحدى اليهوديات مصاغًا ذهبًا عبارة عن زوج من الأساور لبيعه لها ، وماطلت في بيعه يومًا بعد يوم «وأخيرًا توجهت الحرمة اليهودية إلى منزل الدلالة فلم تجدها ، وبالسؤال عنها استخبرت أنها مقيمة بدمنهور ، ثم دخلت في بيت بجوار منزل الدلالة فوجدت فردة من أساورها مرهونة على ريال فرنسية وربع بطرف حرمة ساكنة هناك ، فضبطت فردة الإسورة وأحضرتها للضبطية ، وإفادة على ذلك بما ذكرت ، والتمست حضور الدلالة المذكورة . . . وبناءً عليه اقتضى ترقيمه لحضرتكم لكي تأمروا بلزوم البحث على الحرمة فطومة الحلبية الدلالة وضبطها»[١١١] .

ومن المهن التى عُرف بها الغجر أيضًا بيع الحلي رخيصة الثمن من الزجاج والنحاس في الموالد والأسواق .

عوائد أنشطة على جماعات الغجر :

حصَّلت الدولة عوائد من طوائف الغجر ، فتذكر إيلينا ماروشياكوفا أن أول ذكر للغجر في وثائق الضرائب للإمبراطورية العثمانية يعود إلى عام ١٤٣٠م ، حيث تم تسجيل نحو ٤٣١ أسرة غجرية تمثل ٣,٥٪ من المسجلين في سجل سنجقية إقليم نيكوبول ممن خضعوا للعوائد . وكان هناك نظام معين يتم جمع العوائد أو الضرائب المفروضة على الغجر الرحل على أساسه يقضي بمنح القاضي السلطة بالوكالة لشخص يمكنه الرحيل مع الغجر يكون مسئولاً عن جمع الضرائب منهم ، وقد تمنح تلك السلطة لواحد من الغجر أنفسهم(١١٢) .

وهناك بعض الفئات من الغجر كانت الدولة العثمانية تعفيها من ضريبة الرأس ، منهم من كانوا يقدمون خدمات للجيش بالحصون بالقيام بالأعمال الخاصة بالصيانة كالحدادة ، أو إصلاح بعض الأسلحة ، أو العمل مع الفرق الموسيقية العسكرية(١١٣) .

أما في مصر فقد سبق أن تناولنا عوائد الخردة المقررة على طوائف الغوازي ممن يرقصن بالولائم ، وطوائف البهلوانية والغجر والحواة والقرداتية والطبالين والزمارين ممن تقرر عليهم دفع عوائد ملحقة بالتزام الخردة أثناء الحديث عن كل مهنة منها .

وبخلاف ذلك تذكر الوثائق أن جماعات الغجر فُرِض عليهم الويركو ، فمثلاً جماعة الغجر المقيمة بمديرية الجيزة وأطفيح جاء تعداد الرجال في إحدى عشرة شياخة من زعمائهم حوالي ٤٨١ رجلاً ، دفع منهم ١٨١ «الويركو المربوط» عليهم ، بينما كان ٣٠٠ منهم «خالين من الويركو»(١١٤) .

ويتضمن الجدول التالي نماذج ممن تحملوا عوائد الويركو من جماعة الغجر بالجيزة في عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م

جماعة الغجر شياخة عصران وعبيد أبو هولة	إجمالي عدد الرجال ٢٠١	حوالي عليهم ويركو ٧٥	النسبة ٪٣٧,٣	خالين ١٢٦
مصطفى علي أباظة	٥٦	٢١	٪٣٧,٩	٣٥
محمد السيد	١٦	٧	٪٤٣,٨	٩
إبراهيم حجاب	١٠	٢	٪٢٠	٨
خليل عابدين	٢٠	٥	٪٢٥	١٥
هيندي محمد	٢١	٨	٪٣٨,١	١٣
إبراهيم خالد	٣٥	١٤	٪٤٠	٢١
المصدر : تعداد النفوس: مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٨٥٤ ٠٠٥- ٢٠٣٨ ، عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .				

وبتحليل الجدول يتضح أن الويركو قد تم فرضه على أصحاب الكارات من الغجر ، فبالرغم من أن تعداد الرجال الإجمالي لجماعة الغجر بالجيزة بلغ ٤٨١ رجلاً ، إلا أن من دفع الويركو منهم ١٨١ رجلاً فقط ممن كانوا يعملون بالأنشطة المختلفة ، أما الأعداد الأخرى فقد أُعفيت من الويركو لعدم وجود عمل محدد لها .

كذلك تشير الأرقام والنسب بالجدول إلى تفاوت نسب من فُرِض عليهم ويركو من أصحاب الكارات من جماعةٍ لأخرى داخل جماعة الغجر بالجيزة ، فبينما بلغت ٤٣,٨٪ لجماعة محمد السيد ، فقد جاءت بنسبة ٣٧,٣ لجماعة عصران أبو هولة وعبيد أبو هولة ، وبلغت نحو ٢٥٪ لجماعة خليل عابدي ، وحوالي ٢٠٪ لجماعة إبراهيم حجاب .

أما بالنسبة لجماعة البرامكة المقيمة بالجيزة وأطفيح في شياخة خليفة محمد فقد جاء تعداد الذكور عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م ٢٤ جميعهم لا يمتلكون أطيانًا ، منهم ١٠ رُبط عليهم الويروكو من أصحاب الكارات ، في حين أُعفي ١٤ منهم لعدم توفر

فرص عمل لهم[١١٥] .

ودفعت طائفة الطبالة وعددهم ٢٠ فرداً في المنصورة عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م مبلغ ٨٩٥ قرشًا ، بينما دفع الحدادون في نفس العام والمكان والبالغ عددهم ٣٣ نفراً مبلغ ١٣٠٥ قروش . ويبدو أن تلك الضريبة كانت موضع تضرر في بعض الأوقات خصوصًا في أوقات الأزمات ، لذلك صدر أمر في عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م إلى مديرية الدقهلية برفع الويركو السابق المتراكم عليهم ؛ لأن «حالة أهاليه تقضي لإدخالهم في سلك من فاضت إحساناتنا عليهم برفع الويركو حتى يكون ذلك موجبًا لزيادة مسروريتهم ونمو مكسبهم»[١١٦] .

وكان يتم جمع الضرائب بواسطة شيوخ طوائف الغجر ، وقد يتجاوز بعض الشيوخ بزيادة المقررات المطلوبة عليهم ، حيث تم رصد شكاوى لأعضاء الطائفة تضرروا فيها مما أحدثه عليهم شيخ طائفتهم من حوادث ومقررات ومظالم ، ومن ذلك الشكوى المُقدَّمة من طائفة البهلوانية المقيمين بجهة قبلي في حق كلٍّ من الحاج دياب والحاج عبد الرحيم« لأخذهم دراهم زيادة عن المقيد عليهم بطرف شيخ الطايفة محمد مصطفى ، وجرى التحقيق في ذلك لمديرية أسيوط وجرجا وصار الارتكان في هذا التحقيق على استجواب شيخ الطائفة المقيم بمديرية الشرقية» ، وباستجواب الشيخ قرر أنه منذ سنتين لم يقم بتحصيل شيء من هؤلاء الأنفار مطلقًا ، ولم يعلم بالمطلوب منهم سوى ١٥٠ قرشًا بمقتضى المربوط عليهم سنويًا[١١٧] .

تكوين ثروات وامتلاك الرقيق :

استطاع بعض الغجر تكوين ثروات ، ولاسيما من عملوا منهم بتجارة الحمير والخيول والجمال ، حيث يقومون بعمليات البيع والشراء في القاهرة وفي الأسواق الكبرى المقامة أثناء موالد أولياء الله الصالحين ، وكونوا لهم شهرة لدى التجار ساعدتهم في كسب مالٍ وفيرٍ من هذه التجارة[١١٨] .

كما تمكنت بعض الغوازي من تكوين ثروات كبيرة ، حيث ذهب بوركهارت إلى أن الثروات التي استطعن جمعها جاءت من أعمال الفجور ، فبعضهن امتلكت أثاثًا قيمًا ، والعديد من النساء العبيد السود ، وجملين وثلاثة والعديد من الحمير ، ولبعض الغوازي مجوهرات ثمينة من سلاسل مكونة من الجنيهات الذهبية الإيطالية والأساور الذهبية التي قُدِّرت قيمتها بما يتراوح بين مائتين وثلاثمائة جنيه استرليني ، وفساتين حريرية مزخرفة بخيوط الذهب(١١٩) . كذلك امتلكت الغازية هوارية صندوقًا به مصوغات تُقدَّر بمبلغ ٥٧٢٩ قرشًا و١٥ فضة ، وتعرضها للسرقة أثناء مولد السيد البدوي بطنطا(١٢٠) .

كذلك حقق بعض الطبالين ثروات كبيرة من وراء العمل في مجال الموسيقى ، حيث تم تقدير تركة الحاج أحمد الطبال بخط باب الشعرية بمبلغ ٧٥٠,٣١ ألف بارة ، وامتلك ١٨ قيراطًا من المكان بالخط المذكور ، والذي تُقدر قيمته بنحو ١٨,٠٠٠ بارة(١٢١) .

كما حقق بعض البهلوانات ثروات لا بأس بها ، أحيانًا تكون كبيرة حيث قُدِّرت تركة علي الجلبي البهلوان بخط باب الشعرية – على سبيل المثال– بمقدار ٢٤٠ ألف بارة(١٢٢) ، وبالقطع كانت تلك حالات فردية ؛ إذ إن عمل البهلوانات شاق ، والمكسب من ورائه قليل .

أيضًا استطاع بعض كبار جماعة الغجر والحلب امتلاك رقيق ، حيث كان لدى الشيخ عصران أبو هولة عبدٌ يُدعى جمعة يبلغ من العمر خمسة عشر عامًا ، أما عبيد أبو هولة فكان لديه اثنان من الرقيق هما : فضل الله البالغ أربعين عامًا ، وعصمان البالغ ثلاثين عامًا ، وزعفران السودة بنت عصمان(١٢٣) .

وبلغ إجمالي الرقيق بداخل جماعة الغجر المقيمة وعليها شيخ بالجيزة وأطفيح نحو ١٨ من الذكور جميعهم من السودان ، وتتراوح أعمارهم ما بين ثماني سنوات

وأربعين عامًا ، وبلغ إجمالي عدد النساء من الرقيق في نفس جماعة الغجر خمس تتراوح أعمارهن ما بين اثني عشر عامًا وخمسة وعشرين عامًا(١٢٤) .

وهناك ارتباط بين اقتصاد الغجر وأماكن اللهو المختلفة من مقاهي ، وموالد ، واحتفالات ، ولاشك في أن تلك الأماكن لعبت دورًا كبيرًا في إثراء النشاط الاقتصادي لفئات قامت بالأساس على التنقل وراء كل مناسبة خصوصًا في العصر العثماني والنصف الأول من القرن التاسع عشر ؛ إذ عمل الغجر بمهن مختلفة كالقمَّاش والخرَّاز والقرداتي والبهلوانية والأدباتية والهجاء ، وعملت نساؤهم بمهن قراءة الطالع ودق الوشم ، كما عملن بمهن الرقص والموسيقى ، ومارس بعض الغجر التجارة والدلالة ، وعمل بعضهم ببيع الأشياء البسيطة .

وقد أثر سقوط نظام محمد علي الاقتصادي ، وانفتاح السوق المصرية أمام التجار الأجانب ، وما أعقبه من انتشارٍ كبيرٍ للأجانب في مصر سلبيًا على تلك الفئات البسيطة ؛ إذ بدأ يتناقص دورها ، وإن كانَ بشكلٍ بسيط .

كذلك تأثر نشاط هذه الجماعات بالقاهرة والمدن المصرية بما أجراه إسماعيل من تحديث للمدن وبخاصة القاهرة ، فمع إنشائه للعديد من الأماكن الجديدة ظهرت على الساحة طوائف أخرى ، فحل السيرك بشكله الجديد محل طوائف البهلوانية والحواة والقرداتية ، لتتراجع تلك الفئات لتعمل بالقرى- وبشكلٍ محدودٍ - بالحارات والشوارع مما أسهم في زيادة تهميشها ، وإفقارها ماديًا ومعنويًا . كما دخلت وسائل تسلية جديدة على المجتمع كمحلات التياترو والمسارح التي استقطبت الناس ؛ ليزيد ذلك من دونية مهن الغجر ، وأخذها في التلاشي .

الهوامش

(١) محمد الأرناؤوط : طريق الحرير- طريق الغجر بين الشعوب ، مجلة دراسات تاريخية ، عدد ٣٩ ، ٤٠ ، إصدار ديسمبر ١٩٩١م ، ص ١٦٢ .

(٢) نبيل صبحي حنا : جماعات الغجر مع إشارة خاصة للغجر في مصر والبلاد العربية ، دار المعارف ، ط١ ، ١٩٨٠م ، ص ص ٣٢٢ ، ٣٢٤ .

(٣) برنار فورموزو : الظروف الاقتصادية وإدارة الاحتياجات نموذج الغجر ، ترجمة : عثمان مصطفى ، مجلة ديوجين ، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية ، عدد ١٩٠ ، المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية ، ٢٠٠٢م ، ص ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٤) علا الطوخي إسماعيل وأشرف صالح محمد : التراث الشعبي الغجري في مصر : المهن والحرف نموذجًا ، بحث منشور في المجلة العربية لعلوم السياحة والضيافة والآثار ، مجلد٢ ، عدد ٣ ، سبتمبر ٢٠٢١م ، ص ٣ .

(٥) مهدى الحسيني : الفن والفنانون الغجر في مصر ، مجلة الهلال ، العام الحادي عشر بعد المائة ، ١ أبريل ٢٠٠٣م ، ص ١٤٣ .

(٦) نبيل صبحي حنا : المرجع السابق ، ص ٢٩٥ .

(٧) تعداد النفوس : مديرية الشرقية ، الكود الأرشيفي ٠٠٢٣١٨- ٢٠٣٨ ، عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م .

(٨) نفس المصدر : مديرية المنوفية ، الكود الأرشيفي ٠٠١٢٧٢- ٢٠٣٨ ، ص ص ٣٢- ٦٢ ، عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م .

(٩) نبيل السيد الطوخي : طوائف الحرف في مدينة القاهرة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٩م ، ص ص ١٦ ، ١٧ .

(١٠) نبيل صبحي حنا : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

(١١) تعداد نفوس : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٤- ٢٠٣٨ ، ص ٢٠ ، عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .

(١٢) المصدر نفسه : السجل نفسه ، ص ص ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ .

(١٣) نبيل السيد الطوخي : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(١٤) صلاح أحمد هريدي : الحرف والصناعات في عهد محمد علي ، دار المعارف ، ١٩٨٥م ، ص ٦٧ .

(١٥) تشير بعض الأساطير إلى أن اللعنة حلت بالغجر نتيجةً لخيانتهم للسيد المسيح ، وكان تشردهم وتجوالهم في بقاع الأرض نتيجة لموافقةحداد غجري لطلب الجنود الرومان حيث قام بصنع مسامير لصلب السيد المسيح ، في حين رفض الحدادون الآخرون صنع المسامير ، وتم قتلهم عقابًا لهم على رفضهم صنعها ، لكن الحداد الغجري وافق وصنع ثلاثة مسامير ، وعندما بدأ بصناعة المسمار الأخير وهو الرابع أخبره الجنود بأمر المسامير ، وجاء صوت الحدادين الذين قتلوا تحذره من استكمال صنع المسامير ، وخاف الجنود وهربوا ، وأكمل الحداد صنع المسمار الذي ظل متوهجًا ، ولم يبرد ، فكلما

سكب الماء عليه ازداد احمراراً وتوهجًا ، فخاف الحداد ، واقتلع خيمته ، وهرب ، وظل المسمار يلاحقه ويلاحق سلالته حسبما تقول الأسطورة . . . لمزيد من التفاصيل حول الأساطير المرتبطة بالغجر راجع : جمال حيدر : الغجر ذاكرة الأسفار وسيرة العذاب ، ط ١ ، الكا ، بغداد ، ٢٠١٨م ، ص ٢٤ .

(١٦) مهدي الحسيني : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(١٧) أحمد مختار عمر ، معجم اللغة العربية المعاصر ، المجلد الأول ، ط١ ، عالم الكتب ، ٢٠٠٨م ، ص٦٣٠ .

(١٨) تعداد نفوس : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٥- ٢٠٣٨ ، ص ص ١ ، ٢ ، عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .

(١٩) المصدر السابق : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٤- ٢٠٣٨ ، ص ٢ ، ٢٣ ، عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .

(٢٠) إدوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ، ترجمة : عدلي طاهر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة ، ٢٠١٣م ، ص ٢٨٢ .

(٢١) أندريه ريمون : عن السقايين في القاهرة ، المجلة ، العدد ١١٨ ، ا أكتوبر ١٩٦٦م ، ص ٤٢ .

(٢٢) إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٢٣) أحمد مختار عمر : المرجع السابق ، ص ٥٩١ .

(٢٤) تعداد النفوس : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٤- ٢٠٣٨ ، ص ص ٣ ، ٤ ، ٧ ، عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .

(٢٥) يتميز صائد الثعابين بقوة الجسد ، ويميل لون بشرته للاسمرار ، ويرتدي جلبابًا إفرنجيًا بنصف ياقة ، أو جلبابًا بلديًا ، وكلاهما طويل يصل إلى قدميه ، ومصنوع من القماش الترجال الخفيف ، ، ويشمر عن ساعديه ، ، ويكون حافي القدمين في الغالب . . لمزيد من المعلومات راجع : علا الطوخي وأشرف صالح : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢٦) إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ٣٣٠ .

(27) Sir Richard F.Burton: The Jew,The Gypsy and ElIslam, Wilkins ,London.1898.p 235 .

(٢٨) كلوت بك : لمحة عامة إلى مصر ، ترجمة : محمد مسعود ، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية ، القاهرة ، ٢٠١١م ، ص ٣٨٥ .

(٢٩) إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ص ٣٣٠ ، ٣٣١ .

(٣٠) جيراردي نرفال : رحلة إلى الشرق ، ج٤ ، ترجمة : كوثر عبدالسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرج ، ١٩٨٨م ، ص ٤٤ .

(٣١) أحمد تيمور باشا : الأمثال العامية ، دار الكتاب العربي ، طص ، ١٩٥٦ ، ص ٥٤٢

(٣٢) نفسه .

(٣٣) من أكثر الحيل التي يقدمها ما ذكره لين من قيام الحاوي بمساعدة اثنين من الصبية العاملين معه من

أنه (يتناول من جراب جلدي كبير أربع حيات ضخمة أو خمسة ، ويضع إحداها على الأرض ، ويجعلها ترفع رأسها ، وبعض جسمها ، ثم يعمم أحد صبيته بحية أخرى ، ويطوق عنقه بحيتين أخريين ، ثم ينزعها ، ويفتح فم الولد ، ويدخل لسان قفل في خده ، ويقفله ، ثم يدفع في حلقه مسماراً حديدياً . .) . للوقوف على مزيد من الحيل التي كان يمارسها الحواة راجع : إدوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم ، ص ص ٣٣٠- ٣٣٢ .

(٣٤) علا الطوخي إسماعيل وآخر : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٣٥) فليب جلاد : قاموس الإدارة والقضاء ، المجلد الثاني ، دار الكتب والوثائق القومية ، ٢٠٠٣م ، ص٣٥٤ .

(٣٦) المصدر نفسه .

(٣٧) وثائق منشورة على الموقع الالكتروني http://modernegypt.bibalex.org/NewDocumentViewer.aspx?DocumentID=DC_33404&keyword=%D8%AD%D8%A7%D9%88%D9%89%20%D8%A7%D9%81%D8%B1%D9%86%D9%83%D9%8A

(٣٨) وثائق منشورة على الموقع الالكتروني http:/ modernegypt.bibalex.org

(٣٩) صلاح أحمد هريدي : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٤٠) طارق بدراوي : القرداتي ، جريدة أبو الهول ، عدد ٣- ٢٠١٨م ، مقال على موقع الجريدة الإلكتروني http:/abou-alhool.com

(٤١) إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .

(٤٢) أحمد تيمور باشا : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٤٣) علا الطوخي إسماعيل وآخر : المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٤٤) طارق بداروي : المرجع السابق .

(٤٥) ضبطية مصر : الكود الأرشيفي ٠٠٠١٥٩- ٢٠٠٣ ، ج١ ، صادر دواوين ، عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م ، ص ٦٩ ، م٣٣٧ .

(٤٦) موقع السينما . كوم على شبكة الإنترنت http://elcinema.com

(٤٧) أحمد مختار عمر : المرجع السابق ، مجلد (١) ، ص ٢٥٦ .

(٤٨) إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ٣٣٤ .

(٤٩) علا الطوخي إسماعيل وأشرف صالح : المرجع السابق ، ص ١٨ .

(٥٠) مديرية الشرقية : الكود الأرشيفي ٠٠٠١٠٦- ٢٠١٥ ، ج٣ ، صادر إلى ديوان كتخداي ، ص ٣ ، عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م .

(٥١) محمد مبروك محمد : الإدارة المالية في عهد محمد علي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠٠٩م ص١٦٠ .

(52) Capt. Newbold:The Gypsies of Egypt: journal of the Royal Asiatic Society of Great Britain&Ireland/ volume 16/ January1856, p285

(53) Sir Richard F.Burton: The Jew,The Gypsy and ElIslam,.pp 238, 239

(٥٤) علا الطوخي إسماعيل وآخر : المرجع السابق ، ص ٧ .

(٥٥) محمد رجب البيومي : الغجر ، شعب المرح والموسيقى والسحر ، مجلة الهلال ، الجزء السابع ، ١ يوليو ١٩٥٨م ، ص ص ٤٤ ، ٤٥ .

(56) Capt. Newbold: op. cit, p p. 287, 288

(57) Ibid.

(٥٨) سامية محمد عبد الرحمن : المرأة في مصر في القرن التاسع عشر ، مكتبة الآداب ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص ٣٣٠ .

(٥٩) سوسن عامر : الوشم في الفن الشعبي ، عالم الفكر ، ١ يناير ١٩٧٦م ، ص ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(٦٠) تحية كامل حسين : الأزياء المصرية من الفراعنة حتى عصر محمد علي ، دار المعارف ، ص ص٢١٠ ، ٢١١ .

(٦١) المرجع نفسه ، ص ٢١١ .

(٦٢) علا الطوخي إسماعيل وأشرف صالح : المرجع السابق ، ص ٩ .

(٦٣) إدرواد وليم لين : المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(٦٤) لمزيد من التفاصيل حول طرق رسم الوشم وإزالته ، راجع : المقتطف : الوشم وإزالته ، الجزء الثاني عشر من السنة الحادية عشر ، سبتمبر ١٨٨٧م ص ص ٧٢٥ – ٧٢٧ ، وعلا الطوخي وأشرف صالح : المرجع السابق ، ص٩ .

(٦٥) نهاد محمد صادق : التراث الزخرفي للغجر حول العالم بين الماضي والحاضر ، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية ، عدد خاص(٢) ، أبريل ٢٠٢١م ، ص ٢٣٧٢ .

(٦٦) سعد الخادم : الرقص الشعبي ومصادره ، المجلة ، عدد ٤٥ ، ١ سبتمبر ١٩٦٠م ، ص ص ٨٣ ، ٨٤ .

(٦٧) عصام عادل الفرماوي : بيوت القهوة وأدواتها في مصر في القرن ١٠هـ/ ١٦م وحتى نهاية القرن١٣هـ/ ١٩م ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٨م ، ص ١٢٥ .

(٦٨) إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ٣٢٥ .

(٦٩) سمير عمر إبراهيم : الحياة الاجتماعية في مدينة القاهرة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٢م ، ص ٢٤٥ .

(٧٠) أحمد السيد أحمد الطحان وآخرون : دراسة تأثير البيئة الاجتماعية على الزي الشعبي للغجر والاستفادة منه في تصميمات أزياء معاصرة ، مجلة الفنون والعلوم التطبيقية ، المجلد السادس ، العدد الثاني ، أبريل ٢٠١٩م ، ص ٧ .

(٧١) اليلك زي واسع مصنوع من القطن أو التيل ، وكان يلتصق بالجسم وأكمامه طويلة وتلاصق

الذراعين ، ثم تتسع تدريجيًا ، ويزرر من الأمام من الصدر حتى الوسط . . لمزيد من التفاصيل ، راجع تحية كامل : الأزياء المصرية ، ص ص ١٦٠ ،١٦١ .

(٧٢) العنتري فستان قصير يصل الى ما تحت الوسط بقليل ، فهو عبارة عن جاكيت قصير ، لمزيد من التفاصيل ، راجع تحية كامل : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٧٣) أحمد السيد الطحان وآخرون : المرجع السابق ، ص ص ٧ ، ٨ .

(٧٤) لمزيد من الفاصيل ، راجع : كارستن ينبور : رحلة إلى بلاد العرب وما حولها ، ج١ ، ترجمة مصطفى ماهر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١١٢ ، ص ص ٣١٣ ، ٣١٤و كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٤٠٠ ، وعلاء الطوخي وأشرف صالح : المرجع السابق ، ص١٦ : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٧٥) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٤٠١ .

(٧٦) عصام عادل الفرماوي : المرجع السابق ، ص ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٧٧) المرجع نفسه ، ص ١٢٨ .

(٧٨) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ٤٠٣ .

(٧٩) سمير عمر إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

(٨٠) عماد هلال : البغايا في مصر في القرن التاسع عشر ، العربي ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ص ٤٩

(٨١) ضبطية مصر : الكود الأرشيفي ٠٠٠٠٠٦١– ٢٠٠٣ ، ج٣ ، صادر دواوين ، عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م ، ص١٥٧ ، م ٦٤٥ .

(٨٢) نفس المصدر : نفس السجل ، ص ١٥٧ ، م ٦٤٤ .

(٨٣) عصام عادل الفرماوي : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٨٤) محمد مبروك محمد : المرجع السابق ، ص ص ١٣٢ ، ١٦٠ .

(٨٥) عصام عادل الفرماوي : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٨٦) عماد هلال : المرجع السابق ، ص ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٨٧) مهدي الحسيني : المرجع السابق ، ص ص ١٤٤ ، ١٤٥ .

(٨٨) إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ٣٢٦ .

(٨٩) زينب البكري : عامة القاهرة ، الهيئة العامة لدر الكتب والوثائق القومية ،٢٠١٩م ، ص ص ٣١٠ ، ٣١٢ .

(٩٠) ضبطية مصر : الكود الأرشيفي ٠٠٠٠٠٦١– ٢٠٠٣ ، عام ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م .

(٩١) مهدي الحسيني : المرجع السابق ، ص ص ١٤٢ – ١٤٤ .

(٩٢) تعداد النفوس : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٤– ٢٠٣٨ ، عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .

(٩٣) مهدي الحسيني : المرجع السابق ، ص ص ١٤٥ ، ١٤٦ .

(٩٤) إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ص ٣٢٦ ، ٣٢٧ .
(٩٥) سامية محمد عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .
(٩٦) المرجع نفسه ، ص ٣٣٦ .
(٩٧) لمزيد من التفاصيل حول علاقة البغايا بالسلطة راجع عماد هلال : المرجع السابق ، ص ص ١٦٣ ، ١٦٤ .
(٩٨) نفسه ، ص ص ٧٨ ، ٧٩ .
(٩٩) ضبطية الإسكندرية : الكود الأرشيفي ٠٠٠٠٠٥- ٢٠٠٦ ، ص ١٧٩ عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٢م .
(١٠٠) نفس المصدر : الكود الأرشيفي ٠٠٠٠١٠- ٢٠٠٦ ، ص ١٢٧٠ ، م٢٠١٢ عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م .
(١٠١) يقسم المصريون السحر إلى نوعين : روحاني ، وسيميا ، ولكل نوع أدواته وطريقته الخاصة ، ولقد أسهب إدوارد وليم لين في الحديث عن تلك الأنواع . . لمزيد من التفاصيل ، راجع : إدوارد وليم لين : المصدر السابق ، ص ص ٢٣٢- ٢٤٢ .
(١٠٢) مجلس الأحكام : الكود الأرشيفي ٠٠١٠٢٦- ٠٠٢٠ ، وارد ورش الأقاليم ، عام ١٢٧٠ه/ ١٨٥٣م ، ص ٣٦ ، م ١٦٧ .
(١٠٣) ضبطية مصر : الكود الأرشيفي ٠٠٢٩٥٩- ٢٠٠٣ ، وارد أقاليم ، عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م ، ص١٥ .
(١٠٤) نفس المصدر : نفس السجل ، ص ص ١٠٤ ، ١٠٥ .
(١٠٥) سامية محمد عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .
(١٠٦) كلوت بك : المصدر السابق ، ص ص ٤٠٩ ، ٤١٠ .
(١٠٧) إبتسام علام : الجماعات الهامشية ، دراسة أنثروبولوجية لجماعات المتسولين بمدينة القاهرة ، نرمز البحوث الاجتماعية ، ص ص ١٩ ، ٢٠ .
(١٠٨) المرجع نفسه ، ص ٢٠ .
(١٠٩) تعداد نفوس : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٤- ٢٠٣٨ ، ص ص ٢١ ، ١٧ ، ٢٦ ،٢٥ عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م
(١١٠) نبيل صبحي حنا : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ ، ص٣٣١
(١١١) ضبطية الإسكندرية : ملف ٥ ، الكود الأرشيفي ٠٠٠٠٠٥- ٢٠٠٦ ، ج أول ، صادر الدواوين ، عام ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٥م ، ص ١ .
(١١٢) إيلينا ماروشياكوفا ، فاسلين بوبوف : تاريخ الغجر ، ترجمة : محمد المغربي ، العربية للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٠م ، ص ص ٤٨ ، ٤٩ .
(١١٣) المرجع نفسه ، ص ٤٩ .
(١١٤) تعداد النفوس : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٤- ٢٠٣٨ ، عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .
(١١٥) نفس المصدر : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٦- ٢٠٣٨ ، ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .

(١١٦) محافظ أبحاث : محفظة ١١٨ ، ملف ٥ ، دفتر رقم ١٩١ أوامر عربي ، صورة الامر الكريم رقم ٢ ، ص ٩ بتاريخ ١٥ ربيع الثاني ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م .

(١١٧) مديرية الشرقية : الكود الأرشيفي ٠٠٠١٠٦- ٢٠١٥ ، ج أول صادر إلى ديوان كتخداي ، ٢ محرم ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م ، ص ٣ .

(١١٨) نبيل صبحي حنا : العادات والتقاليد المصرية ، ص ٣٢٢ .

(١١٩) جون لويس بوركهارت : جون بوركهارت : العادات والتقاليد المصرية من أمثال الشهبية في عهد محمد علي ، ترجمة إبراهيم أحمد شعلان ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠م ، ص ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

(١٢٠) عماد هلال : البغايا في مصر ، ص ص ١٤٦ ، ١٤٧ .

(١٢١) زينب البكري : المرجع السابق ، ص ٣١٢ .

(١٢٢) المرجع نفسه ، ص ٣١٧ .

(١٢٣) تعداد نفوس : مديرية الجيزة وأطفيح ، الكود الأرشيفي ٠٠٥٨٥٤- ٢٠٣٨ لعام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م .

(١٢٤) نفس المصدر : نفس الدفتر .